

الدور اللغوي في الكسوع

للأستاذ عباس خضر

—>>><<<—

أُسلمت من براغ :

نشرت إحدى الصحف الأسبوعية لمراسلها من براغ ، أن اللغة العامية المصرية وغيرها من اللغات العامية بالأقطار العربية — تدرس في كثير من جامعات العالم وفي جامعة براغ ، كما تدرس فيها اللغة العربية « الكلاسيكية » واسترعى انتباهي ما قصد إليه الكاتب من تعظيم شأن العامية على حساب الفصحى . . وخاصة قوله :

« ويمتد كثير من أعلام المستشرقين الأوروبيين أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة الفصحى وتحل محلها يوماً ما فتصدر الصحف وتطبع الكتب باللغة الدارجة التي يشكلمها الشعب وتبسط الكتب الدراسية وتقال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية وحظها بعد أن تفرعت عنها اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية » .

وأنبه أولاً على أن هذا الكلام من « براغ » عاصمة تشيكوسلوفاكيا أو العاصمة الصهيونية الثانية بعد تل أبيب . . . كأن لم يكفها إمداد اليهود في فلسطين بالأسلحة والعتاد الحربي لمحاربة العرب ، فأراد دعاة الصهيونية هناك أن يصوبوا سهماً إلى لغة العرب الجامعة بينهم ، لتتحقق أحلامهم في تفرق العرب ، فهذا حلم يبدو لهم جياداً ، وأى شيء أجل لديهم من أن تهزم العربية وتتهجر لتحل محلها اللغات العامية ، ولكل شعب من الشعوب العربية عاميته ، فيصدر بها الصحف ويؤلف الكتب ، فتقال اللغة العربية نصيب اللغة اللاتينية ، وتحل رابطة اللغة بين أقطار العرب ؟ . . .

وذلك من غير شك سهم طائش ، وليس هذا أول كلام

قيل في هذا الموضوع ، فقد سبقته محاولات خاطئة ، تتجدد معه في الغاية والرمى ، وإن كان لكل منها مصدره وباعثه . . . فالغاية أن تنمحي اللغة العربية وتفرع عنها لغات كلاباطالية والفرنسية . . . الخ ، والبواعث شتى ، فمن أعجمي لا يبين ، ومن عابى يريد أن يكون شيئاً ، ومن متظاهر بالتقدمية الحقاء ، ومن شاعر في أحشائه بلذعة الفلفل من المرورية . . . فيتبرد مرة بالفرعونية ، ويتذرع أحياناً بالعامية . . . ثم جاءت الصهيونية في آخر الزمن تريد أن تساهم في هذه الخيبة . .

ولا شك في حسن نية الصحيفة التي نشرت ذلك الكلام أو — على التدقيق — في غفلتها . . . وكان عليها أن تنبه له ولبعض الداملين في تحريرها من ذوى المحاولات القديمة الخائبة . ومن يدري فقد ينفرو صحفاً أخرى مراسلون من براغ . .

ولتدرس جامعة براغ أو أى جامعة أخرى ما تدرس ، وليتعلم بها العامية نفر من أبناء بلادها أو غيرهم ، فهل هؤلاء هم الذين سيصدرون الصحف ويؤلفون الكتب باللغة الدارجة المصرية ويكتسحون ويفرعون ؟ . . ثم من هم المستشرقون الذين يمتدقون أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة العربية الفصحى . . الخ ؟ لم يذكر لنا الكاتب اسم واحد منهم ، وأكبر الظن أن هؤلاء الذين سماهم « أعلام المستشرقين الأوروبيين » إما أنهم صهيونيون وإما أنهم أشباح تمثل أحلام ذوى المحاولات الخائبة والسهم الطائشة .

وبعد فكيف تنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية ؟ لقد تفرعت اللغات الأوروبية الحديثة عن اللاتينية القديمة مع النهضة التي قامت اللغات الجديدة بأعبائها ، وكانت مظهراً من مظاهرها ، وهذا يختلف عن حال اللغة العربية كل الاختلاف ، إذ وسعت اللغة الفصحى النهضة العربية الحديثة واستقلت بها ، فهي لغة الآداب المصرية ولغة الكتابة والقالي في سائر الفنون والعلوم ، أى أنها واجهت النهضة وقامت بأغراضها وعبرت عنها وأسبغت لغتها وانتهى الأمر ، فلم تحل مكانها لتحل محلها لغات متفرعة ؟ أمن أجل سواد عيون الوعول التي تكسرت فرونها . . أم لتحقيق أحلام الصهيونية في تعزيز الأمة العربية ؟

عزيزتي السيدة أسم كلثوم :

فأسألك بالله وبحق الفن ، أن ترأى بحال الإذاعة ، فهي لك مطاوعة ، وتبذل من أجلك ما فوق الاستطاعة ، وغيرك لا ينال إلا بالشفاعة . ونفضلي بقبول تحيتي واحترامي .

« مسونة » الانسار :

هو ذلك الشاب الأعرج يباع الصحف الذي ظهر في فلم « اليتيمتين » إنساناً يفيض قلبه بالمعطف والحب والخير ، برغم سوء بيئته ورقة حاله . يرى فتاة ضاربة ضالة فيشفق عليها . وتقع هي فريسة في بدأمه الشريرة الضارية ، فتستغلها في بيع ورق « اليانصيب » وتعاملها بقسوة ووحشية ، فيتألم لها حسونة أشد الألم ويبذل وسعه في التخفيف عنها ومقاومة أمه وأخيه الذي يمارسها على قسوتها ، حتى يستطيع آخر الأمر أن ينقذها من برائتهما . وكما كان مشهده رائماً وهو يحضر لها ما يقدر عليه من الطعام ويهيب لها شيئاً من الفراش ويصنع لها على السلم درابزيناً لتتجسسها وإيفها السقوط في صمودها وهبوطها . كان حسونة في هذا فلم نبضة إنسانية رائعة ، من النبضات التي تخلد الفنون ، وهو مثل ينبغي أن ينظر فيه السينمائيون المصريون ليروا كيف يمكن أن تكون السينما فنكاً رفيكاً لا مجرد استعراض للتمثيل الذي يتخلله الوعظ المكشوف .

وفلم اليتيمتين الذي عرض بسينما الكوزمو ، لم يذكر له مؤلف ، وأكبر الظن أنه مقتبس ممصر ، من تلك الأفلام التي تنسب إلى المخرج فقط ، وإن كانت حادثته تبدأ بلقطة وتنتهي بلقاء الوالدة وابنتها بعد ما كبرت وجرت عليها حوادث القصة ، فهذا قالب من القوالب المعروفة التي يشكر صعب القصة في كل منها بالأفلام المصرية ؛ فإن كان هذا فلم ممصراً فقد أجيد تمصيره حتى بدت فيه ملامح البيئة المحلية وقوامها كأنه مصنوع على قدها ... أما إن كانت القصة إنشاء مصرياً فن هو المؤلف الفنان الذي أبدع حسونة الإنسان ؟ .

مؤامرة نفيرين تشكر:

ألقى البكباشي عبد الرحمن زكي محاضرة يوم السبت الماضي بنادى الاتحاد الثقافي المصري ، عن إبراهيم باشا في تاريخ مصر الحربى ، فبين مزايا البطل العظيم في الناحية العسكرية بإلقاء

قرأت في أخبار اليوم أن محطة الإذاعة يتجه تفكيرها إلى الاتفاق معك على أن تدفع لك ألف جنيه في الشهر مقابل إذاعة أغنياتك المسجلة حسبما ترغب ، بدلا من أن تدفع خمسين جنيهاً عن إذاعة كل مسجل من هذه الأغاني .

ولم أتبين مقصد الإذاعة من ذلك ، أمى تريد الاقتصاد ... لأن عدد إذاعة المسجلات في الشهر مضروباً في خمسين جنيهاً يساوى أكثر من ألف جنيه ... أم أن حاصل الضرب أقل من ذلك وتريد زيادة التقدير أو نلبية رغبة في الزيادة ؟ .

والواقع على أى حال أنها تدفع لك مبلغاً كبيراً لا يقل كثيراً عن الألف في الشهر مقابل أغنيات أخذت تمن كل منها ثلاثمائة جنيه عند التسجيل .

وأنت تستحقين كل خير ، وفنك المالى لا يقدر بحال . ولكن محطة الإذاعة ... محطة الإذاعة مسكينة (غلبانة) أعنى هؤلاء الفنانين والفنانات الذين يأخذ أحدهم مقابل الحفلة الغنائية خمسة عشر جنيهاً يقاسمه فيها أفراد (التخت) والمؤلف ، وأعنى الذين لا تعطهم المحطة أجراً على إذاعة مسجلاتهم كما تصنع معك وحدك ، وأعنى الذين تضيق بهم المحطة ورجالها وإن كانوا ممتازين في فهم ، وأعنى كل فكرة أو مشروع إذاعي نافع يقف في سبيله ضيق الميزانية ، ثم أعنى هؤلاء الذين يسعون لإرضائك ويرضخون لقوة شخصيتك . فارحى كل أولئك المساكين وكونى عادلة مقتصدة في معاملة الإذاعة ، عاملها مثلاً كشركة (بيضافون) التي كانت تعطيك ثمن التسجيل ، ثم تبيع (الاسطوانات) ولا يدفع إليك كل من يدير (اسطوانة) في (الفنغراف) أى شئ .

يا كروان الشرق ، إن كنت تريد المال فبعض هذا يكفي ، وإن كنت تريد إعلال الفن فليست في حاجة إلى إعلالته ؟ فقد أعليته حتى بلغت به سماء لا يطار لها على جناح ولا يسمى على قدم .. واعلمى أنك من الأعلام الخالدين وأنت لا تقاين إن لم تزيد عمن خلد من أبو الفرج في « الأغاني » مع الفارق الذي به تفوقينهن ، من حيث ما أضفاء عليك روح المصر من استقلال الشخصية والكرامة انماة .

بريل في مدينة ليدن بهولندية ، ونشر منه أحد عشر فصلاً يحتوي كل منها على تسعين صفحة من أكبر قطع ، وبعد وفاته استأنف العمل الدكتورى . ب . فسنج فوصل إلى الفصل السابع عشر . وهذا المعجم موضوع عن كتب الحديث الستة المعروفة وثلاثة أخرى هي مسند الدارمي وموطأ ابن مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل . وطريقته وضع جزارة لكل نقطة من ألفاظ الحديث الواردة في هذه الكتب التسعة ضمن الجلة التي هي فيها ، ثم الدلالة على موقع هذه اللفظة من هذه الأصول التسعة بتوضيح اسم الأصل ثم اسم الكتاب ورقم الباب أو رقم الحديث سواء أكانت هذه اللفظة في أصل واحد أو أكثر . أما فيما يختص بمسند أحمد فيها أنه لم يطبع إلا طبعة واحدة ، ففيه الدلالة على الحديث بتعيين رقم الجزء ورقم الصفحة .

وقد وصل العمل في آخر جزء ظهر إلى مادة صبر من حرف ص . ويقتدر إتمام المعجم في مثل ما ظهر من الأجزاء أى نحو سبعة عشر جزءاً أخرى . وقد احتاج الشرفون عليه إلى إعانة مالية تمكنهم من مواصلة العمل ، فجاء الدكتور فسنج إلى مصر في أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وقابل فيمن قابل معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بقصد أن يرعى هذا العمل ويعد بالإعانة ، ثم سافر بفترة دون أن يتم الاتفاق ولما افتتح المجمع مؤخره السنوى في أول هذا العام ذكر لطفى باشا في جلسة الافتتاح أن من ضمن أعمال المجمع القيام بعمل المعجم المفهرس للقرآن والحديث . وعلى أثر ذلك تحدث معه الأستاذ فؤاد عبد الباقى ، فأشار إلى أن الأولى بالمجمع أن يمين على إتمام معجم المستشرقين بدل أن يتسكك بإنشاء العمل ، فطلب منه الباشا أن يكتب إلى الشرفين عليه ليعينوا ما يلزم لإتمام طبع المعجم وما يحتاج إليه العمل من المال سفويا ونصيب مصر مقابل الاتفاق على طبعه ، فكتب ، ولم يرد الرد المطلوب إلى الآن .

وفى انتظار الرد أحيل الموضوع إلى مكتب المجمع ، فاعتذر بعدم كفاية الميزانية للقيام بالإعانة المطلوبة ، ولكنه كتب إلى وزارة المعارف والجامعتين والجامع الأزهر ، مقترحاً على كل منها شراء عدة نسخ من الأجزاء الصادرة على سبيل التشجيع ، وكل ما تم من الإجراءات الإيجابية العملية في هذا الموضوع هو قرار الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف شراء خمسين نسخة .

هباس مختصر

نظرات على ميادين القتال التي خاضها ، وعرض لجلته على الموره وبلاء الأسطول المصرى في مياهها ، فقال إن الجيش المصرى كان يحارب في بلاد الموره أوربا كلها التي كانت تمد اليونانيين بالرجال والأسلحة والعتاد ، وانتهزت إنجلترا وفرنسا وروسيا فرصة انشغال ابراهيم باشا بتنظيم الجيش البرى وتآمرت على السفن المصرية فكانت موقعة نفرين المشهورة التي كانت في الحقيقة مؤامرة ولم تكن موقعة ، لأن أساطيل هذه الدول أخذت الأسطول المصرى والتركى على غرة .

والواقع أن موقعة نفرين حدثت من الأحداث التي بدا فيها التعصب الغربى ضد الشرق ، ومن قبلها الحروب الصليبية ، ومن بعدها معارك فلسطين الجارية ، فالغرب في القرون الوسطى هو الغرب في القرن التاسع عشر ، وهو هو في القرن العشرين ، وهو بعد الذى يرمى الشرق بالتعصب ..

عوائق الفكر المصرى :

قال الأستاذ إبراهيم المصرى في مقال بالعدد الخاص بعيد الجهاد من أخبار اليوم : « إن هناك ثلاثة أخطار تهدد مستقبل الفكر المصرى هي : إغراء السهولة ، وضعف النقد ، ونقص الحرية » ثم فصل ذلك بقوله إن الكاتب قد شعر بقوة الصحافة فأصبح لا يحفل في الغالب بالفكر المتشد الناضج العميق ، قدر احتفاله بالفكر البسيط السهل يذيعه في مختلف الصحف ويتقاضى عليه أجراً كبير لا يكافئه طویل عناء . والفكر لا ينهض بدون نقد ، وظل النقد قد تقلص اليوم في مصر ، فمعظم الصحف والمجلات تشير إلى الكتب الجديدة دون أن تبحثها وتحدد قيمتها وقيمة أصحابها ، وحرية الفكر المصرى ما تزال مقيدة ، فهو إن من التقاليد سخط عليه المحافظون ، وإن بحث في العقائد فقم عليه الرجعيون ، وإن نقد نظام المجتمع تار عليه البيروقراطيون واستبدوا به واضطهدوه شر اضطهاد .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث :

يشرف « الاتحاد الأسمى للجامع العلمية » على إصدار « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » الذى رتبته ونظمه أقيب من المستشرقين من مختلف الأنظار يبلغ عددهم اثنين وأربعين مستشرقاً ، وتولى الدكتور ا . ي . ونسك طبعه بمطبعة